مجلة الاستيعاب
Eissn : Issn : 2661-7625
المجلد: 6 العـدد: 03 ص 63-46

# الفكر الإتيقي عند الأمير عبد القادر
# Prince Abdul Qader's Etiquette

بوغمبوز محمد
لعموري شهيدة
[1]جامعة قاصدي مرباح (ورقلة)
[2]جامعة قاصدي مرباح (ورقلة)

تاريخ الاستلام: 07/05/2024 تاريخ القبول: 20/09/2024 تاريخ النشر: 20/09/2024

**ملخص:**

إن الذين تجاهلوا الوزن الكبير لمكانة الأمير عبد القادر العالمية هم الذين اندهشوا لتخطي سيرته المحيطات و البحار و القارات في زمن كادت تنعدم فيه الاتصالات ،فقد كانت أوروبا تتابع بإعجاب عبقريته و قيمه الضاربة في عمق وجذور الثقافة الكونية نتيجة مواقفه المشرفة الكثيرة سواء في جهاده ضد الفرنسيين أوفي خضم هدنته أو بسبب الفتنة الدمشقية بين المسلمين و المسيحين لقدقدم لنا عبد القادر محي الدين خطابات كثيرة في الإتيقا بعدما عاين ماحل بالإنسانية من حروب و دمار على الأرض و على الهوية و على الدين خطابات في إتيقا التسامح ذلك أن الأديان و في مقدمتها الدين الإسلامي أجل و أقدس من أن تكون خنجر جهالة أو صرخات نذالة تدوى بها أفواه الحثالة من القوم...خطابات في إتيقا المسؤولية و الغيرية والتي تركزعلى الشعور بمسؤوليتنا اتجاهالآخرين ومن ثم طالب بضرورة ضبط العلاقة الإتيقية بين الإنسان الآخر وفقا لأخلاقيات المسؤولية اللفناسية، لقد كان دون شك بارعا في تجسيد إتيقا المناقشة و الحوار التي تشير إلى مقاربة النظرية الأخلاقية عند هابرماس تمهيدا لمبدأ الإعتراف و الصداقة و الإحترام رغم أن المرء قد يتصور أن مفهوم الإنسانية القائم على عالمية الحياة البيولوجية سيقترب من المساواة أقرب إلى نظام الإدماج الذي يتجاهل جميع الهويات و الإنتماءات السياسية الخلافية، ماأحوج راهننا إلى إتيقاكإتيقا الأمير والتي جمعت بين كل الأديان و الألوان و الهويات في زمن إنتشرت فيه الجوائح و الأوبئة.

**كلمات مفتاحية:** إتيقا ،التسامح ،الغيرية ،التصوف ،التعايش ،الانفتاح.

**Abstract:**

It was those who ignored the great weight of Prince Abdulkader's global standing who were surprised to skip his oceans, seas and continents at a time when communications were almost non-existent. Europe has been following with admiration its genius and striking values in the depth and roots of the cosmic culture as a result of his many honourable attitudes against the French or in the midst of his truce or because of the destructive discord between Muslims and Christians. AbdelkaderMuhiddin gave us many speeches in etiquette after seeing a dehumanity of wars and destruction on earth and on identity and identity Speeches in Etiqa Liability and Heterosexuality focusing on the sense of our responsibility towards others and therefore demanding the need to adjust the ephemeral relationship between the other human being according to the ethics of psychological responsibility, He was undoubtedly adept at exemplifying the debate and dialogue that referred to the approach of Habermas's moral theory in preparation for the principle of recognition, friendship and respect, although one might imagine that the concept of humanity based on the universality of biological life would be closer to equality than a system of inclusion that ignored all divisive political identities and affiliations. What we bet on as a masterpiece that brought together all religions, colors and identities at a time when pandemics and pandemics were spreading.

**Keywords:** For etiquette, tolerance, heterosexuality, mysticism, coexistence, openness.

[1]**المؤلف المرسل: بوغمبوز محمد**

## 1. مقدمة:

لقد كبر الأمير عبد القادر بأعدائه بمثل ماكان كبيرا في قومه وبين أهله و عشيرته و أصبح الأمير الجزائري بطلا عالميا بعد أن كان بطلا عربيا مسلما ،كتبت نييورك تايمز عام 1883م "يستحق أن يصنف من بين أفضل الرجال العظماء القلائل في هذا القرن" ،إنه و بعد 138 عاما على وفاته لايزال إسمه حاضرا في

الفكر الإسلامي العربي و الغربي ،إنه نموذج صادق للفكر الإتيقي الراهن لقد قدم لنا خطابات في إتيقا التسامح وكان سباقا لتأسيس مشروع معرفي منفتح على الآخر لنقد المعرفة الغربية حول الإتيقا إنه نموذج صادق للصوفي في عصرنا هذا مايدفعنا لمحاولة التعرف أكثر على الفكر الفلسفي لمؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ومن ثم حق لنا أن نتسائل ما الإتيقا ؟ وفيما تكمن جوانب الفكر الإتيقي عند الأمير الجزائري ؟هل يمكن القول أنه المؤسس الفعلي للفكر الإتيقي الحديث ؟ وفيما تتقاطع آراءه مع رواد الإتيقا الغربية الراهنة ؟

يعد مفهوم الإتيقا من أبرز المفاهيم إستخداما في الفلسفة الراهنة ومن ثم فمن الضروري محاولة التعرف على معناها:

**1/ضبط مفهوم الإتيقا :**

*لغة :

يعرفها أندري لالاند بقوله : "الإتيقا هي العلم الذي موضوعه المباشر هو الأحكام التقديرية التي تميز جيد الفعل من سيئه " (André Lalande, 1988, p. 306) ومن ثم فهي تعني الحياة الخيرة على حد تعبير ريكور، في حقيقة الأمر إن الأصل اليوناني للفظة إتيقا أصل مضاعف إيثوس ذلك أنها تتكون من كلمتان متماثلتان في النطق لهما دلالتين مختلفتين الأولى تدل على الأعراف بينما الأخرى تشير إلى الإلهام و النفس إلا أن هاتين الدلالتين لايمكن الفصل بينهما ذلك أن الأولى تعبر عن العادات الجماعية بينما الأخرى تعبر عن فضيلة الفرد(عبد العزيز العيادي، 2004، صفحة 28) ويبين لنا هيدغر التقاطع الموجود بينهما من خلال ماعبر عنه في الحضارة اليونانية بمفهوم الإهمام .

lesouci

و يعني الرعاية و الإعتناء و التفاني بالذات مثلما بين لنا هيدغر أما الجمع إتيقات فيشير إلى مايتأدب به فرد أو نوع أو شعب أو مدينة.

نفس الشيئ تشير إليه الكاتبة الفرنسية فرانسي لوكري حيث تذهب إلى أن لإيثوس دلالة التهيؤ و التدبير و ل إيثوس دلالة العرف و العادة و في الواقع فإن إتيقا متأتية من اللفظ إيثوس الدال على التهيؤ

الأخلاقي و الذي إستخرجت منه الكلمة اليونانية وهي اللفظة التي إستعادتها الألسن الأوروبية إلا أن الفلاسفة اليونانين لم يمتنعوا عن اللعب على الجناس وذلك حقهم بما أن اللفظتيين متأتيتين من جذر هندو -أروبي مشترك(عبد العزيز العيادي، 2004، صفحة 28)swedh.

*إصطلاحا :

تعرف بأنها "السلوك وفق المعايير العامة و الأعراف المتبعة و القوانين السارية " (عبد العزيز العيادي، 2004، صفحة 33)و إذا كان الإنسان هو الحامل لهذه المعايير فإن ما يجب عليه هو تطبيقها بمايتواءم مع خصائصه البيولوجية و الثقافية، ويعتبر اليوناني أرسطو هو أول من جعل" مفهوم الإتيقا مفهوما فلسفيا ذائع الصيت ،ذلك أن هذا الأخير وظفه توظيفات مختلفة وفقا لتعدد دلالاته ومجالاته . و تعرف أيضا بأنها "تقصي معنى الحياة أو تقصي مايجعل الحياة جديرة بأن نحياها أوهي تقصي الكيفية السليمة للعيش"(عبد العزيز العيادي، 2004، صفحة 35)ومن ثم فهي تشير إلى القدرة على التفكير بشكل نقدي حول القيم الأخلاقية وتوجيه أعمالنا من حيث استنادها القيمي .

يعرفها الجابري بقوله" أما في اللغة الأوروبية فكلمة الأخلاق يقابلها لفظان الأول يوناني وهو الأصل إيتيك من إيتوس والثاني روماني الأصل هو مورال من مورس و اللفظان بمعنى واحد العادات الأخلاقية و إلى النصف الثاني من هذا القرن كانت كلمة مورال هي السائدة والغالبة في كتابات الفلاسفةأما في الفترة الراهنة فقد تراجعت وتزحزحت هذه الكلمة لتحل محلها إتيك ومن ثم أصبح المفكريين و الفلاسفة يعبرون عن كلمة أخلاق بمعنى مورال و أخلاقيات معنى إتيك" (محمد عابد الجابري، 2012، صفحة 64) ومن ثم فالأول يرتبط بالفرد أما الثاني فيرتبط بالقيم الإجتماعية .

ويعرفها هابرماس بقوله "هي بحث في التأصيل الفلسفي و إستكشاف لعلوم الإنسان المتعلقة بالقيم السلوكية ....لذا فالإتيقا تبدو و كأن مجال إنهمامها هو الجهد النظري المبذول لبلورة المبادئ التي تنظم علاقتنا بالآخرين" (يورغن هابرماس، 2010، صفحة 7) ومن ثم فالإنسان كائن إتيقي تواصلي ، وعموما فإن موضوع الإتيقا تتداخل فيه وتتعاون مجموعة من الفروع المختلفة كالقانوني و الإقتصادي و الفيلسوف و الفقيه و الطبيب و البيولوجي .

ومايجدر الإشارة إليه إلى أن هناك إختلاف بارز بين مفهومين بارزين هما الأخلاق و الإتيقا :

الأخلاق :هي مجموعة القوانين والمبادئ التي تحكم السلوك الإنساني ، هذه الأخيرة ترتبط بمفهوم الواجب الكانطي أي تقوم على فكرة الإلتزام بينما الإتيقا "هي نظرية في جماع الحياة "أي الإلتفاف بالذات و إرتباطها علائقيا بالعالم وتعد الفلسفة اليونانية فلسفة إنهمام حول الذات بإمتياز ومن ثم تعد الإتيقا مرجعية معيارية تقف وراء الأخلاق وتقوم بوظيفة توجيهها نحو السلوك السديد ومن ثم محاولة قياس درجة صحة السلوكيات الأخلاقية في الواقع العملي(محمد أمين بن الجيلالي، 2021، صفحة 13)

- و يقر عالم الإجتماع الفرنسي فيليب واريفيان إلى أن التمييز الموجود بين الأخلاق و الإتيقا يقوم على أساس قاعدة الشعور الذاتي و الإتزان الفردي بالقيم الأخلاقية ذلك أن الأخلاق بناء إجتماعي محدد ينظم سلوك الإنسان الفرد داخل المجتمع وتبلغ مداها حين يتم إستنباطها داخليا من طرف الفرد و هي خطوة في إتجاهالإتيقا(محمد أمين بن الجيلالي، 2021، صفحة 16) التي تمثل تمازجا بين إرادة الفرد و القيم الأخلاقية للمجتمع .

## 2- الفكر الإتيقي عند الأمير عبد القادر و بروزه في الإتيقا الغربية المعاصرة :

إذا كان الأمير عبد القادر يعد بحق رائدا من رواد الإتيقا في العصر الحديث، وكان له الأثر البالغ في تجسد الفكر الإتيقي الراهن و لو بشكل غير مباشر والذي يعد التسامح أساسا له ، فإنه كان لزاما علينا محاولة التعريج على بعض الجهود التي بذلها لأجل تنظيم علاقتنا بالآخريين ليس من الجانب النظري فحسب بل من خلال بلورة فكره على أرض الواقع مجسدا إتيقا كونية أبهرت العالم :

### 2.1/ إيتيقا التسامح الخلاق :

يعد الأمير عبد القادر نموذجا للخصال الأخلاقية الرفيعة و رائدا حقيقيا لإتيقا التسامح التي تبلورت في ثلاث مواقف جوهرية يشهد التاريخ لها و العالم على قوتها ودورها في نبذ العنف و التعصب :

أولا: تسامحه مع القبائل المعارضة له :

لقد تجاوز الأمير الإطار الضيق للمركزيات الإثنية و الفواصل الثقافية التي تحد من سبل الجور ،إن التسامح الذي دعا إليه الأمير ليس من صنف التسامح الإيديولوجي الذي يعمل جاهدا على تكريس

الظلم و التفرقة ،و إنما وظفه في خدمة السلم والتسامح (بوعلي نابي ، صفحة 4) وهذا يعود للتنشئة أبيه له حيث يقول لمن طلبوا مبايعة إبنه "ولدي عبد القادر شاب فطن ،صالح يفضل الخصومة ومداومة الفروسية مع كونه نشأ في عبادة ربه ،فهو الذي تربى على قراءة القرأن و السنة النبوية" (أحمد كمال الجزار، 1997، الصفحات 22-23) ومن ثم إستنبط مبادئ التسامح من مصادر الدين الحنيف .

عند مبايعته عمل جاهدا على إزالة الفرقة و العداء بن المسلمين وتحرير الوطن من المستعمر يقول عبد القادر"ومن أجل ذلك إذن تولينا هذه المسؤولية الهامة آملين أن يكون ذلك وسيلة لتوحيد المسلمين ومنع الفرقة بينهم وتوفير الأمن العام إلى كل أهالي البلاد ووقف كل الأعمال الغير قانونية التي يقوم بها الفوضويون ضد المسلمين ،وصد و طرد العدو الذي إعتدى على بلادنا " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 59)والذي يريد أن يقيد حرية الجزائريين و يسلبهم حقوقهم ويردف قائلا "إن هدفي الأساسي هو الإصلاح وفعل الخير مادمتحيا،إن ثقتي بالله و منه أرجوا الجزاء و النجاح " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 60) هذا النداء الذي وجهه الأمير للقبائل قبل من طرف المتدينين أما الأفراد الطموحون فقد نظروا له نظرة حقد وغل و كراهية ،هذا ماجعله يعمل جاهدا على التأسيس لفكرة الوحدة القومية من خلال مواعظه التي كان يحضرها حشدا كبيرا ولم يكن يرغم أحد على الحضور ومن ثم نال ثقة و حب أتباعه .

لقد تسامح الأمير مع القبائل الفقيرة و الضعيفة الدخل ومنحها إمتيازات خلاف بقية القبائل الأخرى و أمرها بدفع ضرائب جد منخفضة كقبائل أولاد سيدي الشيخ و أهل القصور في الصحراء (بوعلي نابي ، صفحة 4) وكان متسامحا أيضا مع المثقفين وطلاب العلم ذلك أنهم حسبه ركيزة جوهرية لايمكن تعويضهم و الإستغناء عنهم هذا ماجعله يكسب القلوب قبل العقول .

من بين المواقف التي تجسد إتيقا التسامح عنده هو إرساله لرسالة لأمير الزاوية التيجانية الشيخ التيجاني بعد الحرب التي إندلعت بينهما محاولا رأب الصدع و الإعتذار قائلا "إتضح الأمر أن هاته الحرب كانت بسبب وشاية المنافقين" (أحمد كمال الجزار، 1997، صفحة 27) ليرد عليه التيجاني وتتجدد بينهما أواصر الأخوة بعد طلب عبد القادر للعفو و الصفح عما بدر منه و هنا تبرز سماحته .

لقد عمل الفرنسيين منذ أن وطأت أقدامهم أرض الجزائر على نشر الدسائس و الشائعات خصوصا بعد هزائمهم المتوالية ضد جيش الأمير ،ولعل من بين أبرز الدسائس هي محاولة إثارة الشائعات بين سلطان المغرب عبد الرحمن و الأمير، ورغم أن العلاقة التي كانت تجمعهم طيبة إلا أن المستعمر إستطاع أن يوقع بينهما بعدما أوهم السلطان عبد الرحمن أن عبد القادر يريد حكم المغرب ليجهز السلطان جيشه ووقعت بينهما الحرب لكن الفكر التسامحي الذي تميز به الأمير حال دون إستمرار الحرب " لكن ألهم الله تعالى الأمير صواب الرأي ،فضرب كل الدسائس بضربة واحدة و إعلانه أن على الجزائر و المغرب حكاما و شعوبا عليهم أن يواجهوا العدو الفرنسي تحت قيادة سلطان المغرب أوغيره " (أحمد كمال الجزار، 1997، صفحة 35) وبذلك تم إطفاء نار الفتنة بنجاح .

ويروى أنه ذات ليلة بينما كان الأمير منهمكا في القراءة إذ به سمع صوت الأقدام فرفع رأسه ليجد شخصا طويل القامة يحمل خنجرا يريد قتله ،ولكن الرجل رمى الخنجر وإرتمي بين قدميه، ليقوم الأمير و يضع يده على رأسه ويخبره قائلا "لقد دخلت خيمتي قاتلا و أن الله الذي قادك إلى التوبة عن عملك الشرير قد حكم أن تخرج بريئا ،فإذهب إذن و تذكر أن خادم الله قد عفا عنك " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 239) هاته الفعلة جسد فيها إتيقا التسامح ، "العفو عند المقدرة "حيث أن الإنسان إذا ماأراد أن يحافظ على إنسانيته و يحقق كونيته الأصيلة فما عليه إلا التصالح بين الإنسان و الإنسان.

ثانيا :تسامحه مع الأسرى الفرنسيين :

لقد كانت نظرة الأمير عبد القادر إلى الحرب نظرة تتسم بالفروسية و الإنسانية فمنذ توليه الإمارة رفض بعض الأعمال اللاإنسانية التي كانت تمارس ضد الأسير رغم أن الجنود الفرنسيين أنذاك كانوا يمارسون أبشع أنواع التعذيب (محمد شاطو، 2019، صفحة 386) ضد المدنيين العزل من الشعب الجزائري ،لقد إستمر الأمير في جهاده ضد العدو الفرنسي لمدة تقارب ستة عشرة عام فرغم إنتصاراته ومعاملة الفرنسيين الهمجية للأسرى الجزائريين إلا أنه كان يتخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه و سلم من شجاعة و حب الوطن فكان يعاملهم معاملة الضيوف،ذلك أن الأسير حسبه مكسور الخاطر ذليل مهما كان قدره فكان يأمر بتقديم الطعام لهم " (أحمد كمال الجزار، 1997، الصفحات 32-33) ومن شهادات الأسرى

الفرنسيين الذي يعترفون بالمعاملات الإنسانية الراقية المشبعة بروح التسامح التي وجدوها أثناء أسرهم نذكر ماصرح به الكابتن موريزو أحد القادة الفرنسيين الذين وقعوا في الأسر لدى الأمير "بعد ساعات فتحت عيني ..و لم أكد أصدق ماحصل لي إذا كنت مازال أحتفظ بكتيفياتي ،وبوسام الشرف ، لم ينتزع مني أي شيئ،وكنت في مأمن داخل الخيمة ممدودا على بساط بين برنسين إثنين كلحاف وزربيةإلى جانبي ،مع جرة فيها ماء و ليمون ...ثم وجدتني أتجه إلى المكان المعين لإقامتي وقد حظيت فيه بإستقبال لدى عدو كريم وغير معروف كما ينبغي " (محمد شاطو، 2019، صفحة 10)ويبرز تسامحه أكثر من خلال إعفاءه للأسرى وذلك يوم الأحد إحتراما للديانة المسيحية وكان في بعض الأحيان يقوم بإطلاق الأسرى دون فدية و لاعوض فأطلق سراح 64 أسيرا .

وهو ماجاء في رسالة الأمير للويس فيليب " خلال حملتنا الأخيرة في شرق البلاد وأثناء المعارك الجديدة التي خضناها ،أذن الله لكثير من الأسرى بالسقوط في أيدينا ،وقد إغتبطنا بذلك لأنه يعطينا القوة على التبادل "ويضيف قائلا "ولكننا في السنوات السابقة كنا قد أرسنال إلى المارشال بوجو أكثر من مئة سجين بدون عوض " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 236) أما من الطرف الآخر فكان المستعمر يرتكب أبشع الجرائم بلا هوادة في كافة أقطار الوطن ،ولم تتوقف الأعمال العدائية الفرنسية عند هذا الحد فحسب بل تعدته إلى إعتقال الرسل بين الأطراف المتنازعة و الذين يعتبرون محايدين في الأعراف و المواثيق الدولية .

ومن بين المواقف التي تظهر إتيقا التسامح عند الأمير هي تعليماته لجنوده بالتسامح مع الأسرى مخصصا لهم مكآفأة مالية قائلا "إذا إشتكى أي أسير من سوء معاملة العربي يحرم العربي من أي مكآفأة ،وقد يعاقب إذا تطلب الأمر ذلك " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 229) ويروى أن أحد الرجال أحضر له أربع نساء أسرى فرفضهم الأمير و أمر بإعادتهن مكرمات هذا الخبر وقع كالصاعقة على القيادة الفرنسية خوفا من إنقلاب الجنود على قوادهم و إلتفاف الشعب .

ويذكر أن هناك فرقة فرنسية وقعت في الأسر فألقت سلاحها من تلقاء نفسها و دون إطلاق أي رصاصة في عين تيموشنت فما كان على الأمير إلا أن يعزيهم ببعض الكلمات المواسية لهم على نكبتهم

قائلا "لاتيأسوا أبدا من المستقبل فلن تحدث لكم أي مضرة ،ذلك أن مشيئة الله قد قررت أن تسقطوا في يدي ،و الله قادر على أن يحكم بتحريركم " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 229) هذه هي صفات رسل الله و أولياءه في الأرض لقد كان متسامحا إلى أبعد الحدود خاصة من الناحية الدينية هذا ماذكرهتوستان مان دي مانوار أحد الأساقفة الفرنسيين ،أنه أرسل للأمير رسالة قصد التفاوض معه لأجل السماح للكنيسة الكاثوليكية بإرسال أحد رجال الدين لأجل خدمة الجنود الأسرى لدى الأمير فإستجاب لطلب الأسقف ولقد جاء في رده "إن الأسقف المسيحي والقائد العربي كانا مرتبطين برباط مشترك من أعمال الرحمة والصلاح ...إننا لم نميز أبدا بين رجالنا ...و إن صمتكم الساخر كان سببا في قطع التفاهم بيننا " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 236)إن خرق الإتفاق قد جاء من المسيحيين (بسام العسلي ، 1986، صفحة 132)من ثم فالأمير كان دائما على إستعداد لقبول السلام مؤكدا على مشاعر الصداقة المشتركة لالشيئ إلا بإسم التسامح الإنساني .

قرر الأمير الإستسلام بعد الفتنة التي وقعت له مع سلطان المغرب حفاظ على أرواح جنوده ورضى بقضاء الله وقدره فوقع معاهدة صلح مع العدو وعمت أنباء إستسلامه فرنسا بحماس طاغ من الفرح و الإنتصار ذلك أن الجزائر حسبهم يمكنها أن تسمى الآن مستعمرة فرنسية و هذا مانوهت له جريدة المونيتور الفرنسية في عددها الصادر 03 يناير 1948م هذه المعاهدة نصت على رحيل الأمير إلى الإسكندرية لكن المستعمر المعروف بمكره سجنه في أمبواز لمدة خمس سنوات و مع تولي لويس نابليون الحكم قرر إطلاق سراحه فرحب به "وعند تجوله في سجن الأنفليد شاهد عددا كبيرا من راياته ثم قال : "مضت تللك العهود إنني أرغب في نسيانها لنسعى دائما أن نعيش في الحاضر " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 270) ليشارك بعدها في إنتخابات الإمبراطورية الإستعمارية ،ثم يحط الرحال بصقلية فبروسة التركية ليعود للإمبراطورية بعد زلزال بروسة ويحضر صلاة الشكر في كنيسة نوتردام ثم يعود للبنان فدمشق وهنا تبرز شهرته عالميافيإتيقا التسامح الديني .

ثالثا :موقفه إتجاه فتنة المسيحين بالشام ماي 1860

لقد سجل التاريخ لشخصية الأمير الجزائري صورة من صور التسامح الديني مع المسيحيين حيث قدم لهم يد العون أثناء الفتنة التي وقعت بالشام عام 1860م رغم أن مثل هذه المواقف ليست بعيدة عن خصاله حيث يقول في خضم زيارته لكنيسة المادلين قبل وقوع الفتنة "حينما بدأت مقاومتي للفرنسيين كنت أظن أنهم شعب لادين له ،ولكن تبينت غلطتي وعلى أي حال فإن مثل هذه الكنائس ستقنعني بخطئي " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 297) وتتمثل أحداثها في أن بعض من سكان الدروز إحتجوا رفضا لفرض الدول الأوروبية على الدولة العثمانية تقديم بعض الإمتيازات للمسيحين الدمشقيين هذه الأحداث تحولت فيما بعد إلى مجزرة حقيقية بسرعة فبمجرد أن صعد الأمير جبل لبنان سمع و إندهش من صوت الرصاص و شاهد الرجال يقبضون على حزمة البنادق ،ثم رأى كوكبة من الفرسان في زي فخم متقدمة لمقابلتة ،لقد تجمع الدروز للترحيب به ليغادر بعدها لدمشق و يصطف الناس على الطريق لإستقباله فكان كل السكان مسلمين "إنه لم يدخل دمشق عربي على هذا النحو منذ صلاح الدين الأيوبي" (هنري تشرشل، 1974، صفحة 277)

لقد أرسل رسله إلى مسلمي دمشق ومشايخ الدروز بلبنان ،وكتب العديد من الرسائل إلى علماء حمص و حماه و إلى الشيوخ الدرزية إلى شيوخ الدروز في جبل لبنان و في سهول وجبال حوران ،إننا ندعو لكم بالسعادة الدائمة و الهناء المستمر ويحذرهم من أن يجعلوا لشيطان الجهل فيهم نصيبا (محمد شاطو، 2019، صفحة 39).

"آه لو أرادوا أن يصغوا إلي..لوأن المسلمين و المسيحيين أصغوا إلي لأوقفت الخصومة بينهم ولغدوا إخوانا في الخارجو الداخل " عندإشتعال لهيب الفتنة هب الأمير للنجدة و إلتف حوله جنوده فكانوا يحرسون الشوارع ،وكان رجاله يذهبون لبيوت المسيحيين لنجدتهم ويخبرونهم أنهم رجال عبد القادر وبعد جمعهم أخذهم إلى منازل تابعيه و أمرهم بتوفير المأوي للمنكوبين يذكر السيد لاونس "أن الأمير عبد القادر ينقذ كل من يستطيع إنقاذه " (برونو إتيين ، 2001، صفحة 316) رغم أن القوات الحكومية لم تأخذ الأمر على محمل الجد و كأنها متورطة في الفتنة ،إنتهت الفتنة بعصيان مدني في دمشق ،مقتل 50مسيحي من الكنائس و الأديرة القنصليات أحرقت القنصل الأمريكي جريح ،الهولندي قتيل ،وهذا

بعدما حكمت المحكمة بالشنق في حق ستين شخصا ونفي 145 آخر إلى قبرص منهم مفتي دمشق و السجن لحوالي 800 مدني ورغم هذه الأحكام أرسلت الدول الأوروبية سفنها الحربية على غرار المستعمر الفرنسي الذي طلب من الأمير الخروج من دمشق لكنه رفض و أقنع الجنرال دي بوفوار على العدول عن القرارا وهنا يستشهد بقول الرسول الكريم"من ظلم معاهدا أو ذميا أو أحدا من أهل الكتاب أو كلفه فوق طاقته أو أنقصه شيئا من حقه أو الأخذ منه بغير طيب من نفس فأنا خصمه يوم القيامة " (أحمد كمال الجزار، 1997، صفحة 39) لقد أظهر الأمير في هذه النكبة أنه من طينة الكبار و أنه رجل المواقف الصعبة و أثبت بذلك أبعاد شخصيتة الإنسانية و العالمية و الكونية القائمة على نبذ التعصب و التطرف و الصراعات الدينية (صالح عوض ، صفحة 110) مثبتا إن إتيقا التسامح الديني هي أساس العيش المشترك بين مختلف الشعوب و الثقافات.

إنه ليعبر بنفسه عن تلك السمة النبيلة ماجعل رسائل الثناء تتوافد عليه من العديد من الملوك و الشخصيات الدينية لأنه عكس أسمى قيم التسامح ومن بين الملوك الذين بعثوا له رسائل الثناء بعد الحادثة ملك إيطاليا ،ملكة إنجلترا ورسالة القيصر الروسي "إلى الأمير عبد القادر إقتضت رغبتنا أن نشهر إلتفاتنا إليكم بشهامتكم وعملكم بم إقتضته الإنسانية ،و إجتهادكم في إتقاذ ألوف المسيحيين من أهالي دمشق الذين وجدوا في خطر عظيم ،إننا سميناكم من أعظم فرسان رتبتنا الإمبراطورية المشهورة بالنسر الأبيض (هنري تشرشل، 1974، صفحة 26) ويمكن أن نستخلص إتيقا التسامح عنده من خلال هذه الأبيات التي ينشدها :

فطورا تراني مسلما أي مسلم زهودا ،نسوكا ،خاضعا ،طالبا مدا

وطورا تراني للكنائس مسرعا وفي وسطي الزنار أحكمته سندا (برونو إتيين ، 2001، صفحة 256)

وبذلك يعد الأمير عبد القادر نموذجا للخصال الأخلاقية الرفيعة و رائدا حقيقيا لإتيقا التسامح التي ضرب لنا من خلالها مثلا أعلى في المحبة و الإخاء و نبذ التعصب هذا ماعجل بشهرته العالمية المترامية الأطراف و إنتقال أفكاره إلى ماوراء المحيطات و البحار،حيث منحته على سبيل المثال لاالحسر مؤسسة

الأويسمي السويسرية الغير حكومية جائزتها الثالثة في التسامح تكريما و تقديرا له على عطاءاته و مساعيه الحثيثة لتحقيق السلم و الأمن العالمي الذي من أبرز شروطه التسامح الديني الذي نحن بأمس الحاجة إليه في راهننا .

**2.2/إتيقا الغيرية بين النظرية و التطبيق :**

تقوم إتيقا الغيرية عند الأمير على حب الآخر و تمجيده بعيدا عن كل مقابل ،ومن ثم فالمعنى الحقيقي لتحمل مسؤوليتي إتجاهك هو إنسانيتي المستمدة من إحترامي لك و تضحيتي في سبيلك ،فالآخر من خلال فقره يفرض علي نفسه ويناشدني من خلال جوعه و ضعفه من خلال موته يناديني ،لهذا فإن رؤية الأنا للآخر تجعل الذات تفكر فيه بإستمرار من آجل الآخر (إيمانويل ليفيناس ، 2011، صفحة 21)ومن ثم فالفرد يعيش و يحيا لأجل الآخر الذي تربطني معه علاقة إنسانية تقوم على المسؤولية .

يؤكد ليفيناس على أن المسؤولية الإتيقية تتطلب الإتصال بين الناس بشكل مباشر ذلك أن من طبيعة الذات الإنسانية هو محاولة التقليل من معاناة الآخر القريب من خلال تجسيد مبدأ العدالة هذا مايؤكده في كتابه الكلي و اللانهائي يصرح "إستعملت كلمة عدالة للإشارة إلى العلاقة بين شخصين ...ذلك أن العدالة هي الطريقة التي أجيب بها الوجه بأنني لست وحيدا في العالم مع الآخر " (إيمانويل ليفيناس ، 2011، صفحة 81) هذه المسؤوولياةالإتيقية التي تفرضها الذات لاترتبط فحسب بالكائن الإنساني بل تمتد لسائر الكائنات الأحرى فلايمكن مثلا تعذيب حيوان و نحن لسنا في حاجة إلى ذلك و لايمكن قطع شجرة بشكل تعسفي .

لقد طور بول ريكور الفلسفة التطبيقة المناسبة لعصرنا من خلال تساؤله عن المسألة الفلسفية التي تطرحها الهوية الإنسانية عبر التاريخ الجدلي للعلاقة بين الذاتية و الآخرية بين الأنا و الآخر ،ومن ثم عمل على تجاوز الهاجس الذي حركه و هو الإنتقال من الإنسان المذنب المجرم إلى الإنسان القادر ومن الكوجيتو المجروح و المهان من طرف السلطة و المجتمع إلى الشخص السيد على ذاته والمتحكم في قراره ومسؤولية أفعاله وتباعته (زهير الخويلدي ، 2020)ومن ثم تتحقق العدالة التي تتجسد في العيش مع الآخر و لأجل الآخرمن خلال تحمل كل فرد لمسؤولياته الإتيقية. يربط آلان تورين بين الذات و

الآخر من خلال علاقة الإختلاف حيث أنه يدعوا إلى الإعتراف بالآخر وبالتنوع الثقافي مع التأكيد على قيمة التضامن خاصة مع الأقليات (الزواوي بغورة ، 2009، صفحة 266)،ومن ثم فالمعركة التي تخوضها الذات هي معركة الإعتراف بالآخر وعدم التهرب منه و من مسؤولياتي إتجاهه هذا مايبرزهليفيناس من خلال بحثه في علم الهيرتيولوجيا–الغيرية – عن الإتيقا المرتبطة بالقواعد الأخلاقية بين الأنا و الآخر "معتبرا أن الوجه هو معيار القيم الأخلاقية حيث ينبري عنه مفهوم الضيافة و الإعتراف و الصداقة و الإحترام " (إيمانويل ليفيناس ، 2011، صفحة 81) ومن ثم يحاول تهديم المقولات الغربية التي جعلت الذات الإنسانية هي المركز و أهملت وجود الآخر وجعلته هامشيا "ويعتقد ليفيناس أن الفكر الأخلاقي يفقد معناه في غياب الغير فأنا أمارس الأخلاق من أجل الآخر وهذا مايدعوا للإقبال على الحياة " (إيهاب حسن ، 2017، صفحة 150)ومن ثم فالأنا تحيا مع الآخر و لأجل الآخر الذي تجمعني معه علاقات إتيقية متعددة إنطلاقا من هذا "خضعت الذات إلى تحويل حريتها إلى مسؤولية فبدلا من الحرية فواجبي عند لقاء الآخر هو عدم التهرب أو التنصل من مسؤلياتي تجاهه" (فيروز سيفي–الدراجي زروخي، 2021، صفحة 522) هذا ماسيحقق التوافق بين ذاتي وذات الآخريين هذه الأفكار نجد أنها كانت مجسدة في فكر و ممارسات الأمير عبد القادر الجزائري في القرن 19م،حيث تبرز إتيقا الغيرية عنده من خلال حمايته و رعايته و كرمه لأكثر من شهر للمسيحين وحراسته لهم من طرف الجزائريين و تأمين الطريق لهم إلى غاية وصولهم لبيروت ولقد كانت للمسيحيين بعض الممارسات ليخاطب أحد الشيوخ الدروز في رسالة قائلا له "لقد قام بعض خيالتكم بأعمال نهب في المناطق المجاورة لدمشق ومثل هذه التصرفات لاتليق بجماعة تميزت بتعقلها و حكمة ساستها ...أكرر أنان واقفون من أجل راحتكم ،و يهمنا جدا كل ماينعكس على سمعتكم " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 288)

وبذلك أصبحت كل أروبا مدينة له لالشيئ إلا أنه قام بواجبه ووضع ذرعه الواقي فوق كرامة أروبا الجريحة ،هذا الشعور عبر عنه البطل القوقازي الشهير شمويل من منفاه "إلى الأمير إلى الذي أصبح معروفا لدى جميع الطبقات الدنيا و العليا ...الصديق المخلص عبد القادر العادل " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 286)إلاأن الأمير في حقيقة الأمر لم يقم إلابواجبه الأخلاقي الذي يفرض عليه تحمل مسؤولياته

إتجاه الآخر و تقديم لهم يد العون متجاوزا شتى أنواع التطرف و إذ نظرنا إلى حياة الأمير أثناء إقامته بالجزائر نلاحظ إهتمامه بالغيرية بشكل مباشر حيث أنه كان يرفض تعذيب الأسرى الفرسيين ،كما أطلق العديد منهم من دون مقابل لا لسبب سوى لإحترامه وتقديسه للذت الإنسانية ومن ثم "فمن واجبنا عندما نفكر في قلة أهل الدين الحق ،وفي ندرة حماة و أبطال الحقيقة ،وعندما نرى الجاهلين يعتقدون أن مبدأ الإسلام هو الظلم و القسوة و البلادة والجفء فقد حان الوقت أن نقول صبرا جميلا " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 290) ومن ثم أصبح يحمل شعارا قائما على مبدأ الأخوة الإنسانية الكونية القائمة على نظرة المحبة و السلام و الإخاء منطلقا من فكرة مفادها أن مسؤوليتي الإتيقية تجعلني دوم أنبذ كل أشكال العنف ضد الآخر "مما يولد بداخلي شعور بمدى حاجة لآخر و الشعور بإنسانيته قبل الموت ،وأن اكون بجواره في خدمته دائما ذلك أن القتل أو العنف يلغي الحق في الإعتراف بأحقية الآخر في الحياة " (فيروز سيفي–الدراجي زروخي، 2021، صفحة 520)ومن ثم فالحياة العقلية السليمة هي التي تعبر عن العزم و عدم الحاجة إلى لحقد و الغضب و الكراهية و لكبر و إحتقارالآخر هذا ماتقتضيهإتيقا السعادة التي لاتعبر عن الأنانية المستلبة المتفردة ومن ثم "مثل هذا الإنفتاح ...يكون الإنسان سعيدا لكونه هو ذاته و إن كان مع الآخر " (عبد العزيز العيادي، 2004، صفحة 182).

لقد حاول الأمير أن يضع لنا خارطة طريق لما يمكن أن نسميه نظرية تطبيقية إيتيقية تمكن الباحثين في مجال القيم و المعاييرمنالإسترشاد بها ، إنها إتيقا خاصة جوهرية ترتبط بالجماعات الإنسانية المختلفة الأعراق و الأديان و الثقافات.

**3– إتيقا التصوف عند مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة:**

يمكن أن ندرك الأبعاد الحضارية لإتيقا التصوف عند الأمير والذي تميز بالإعتدال و الموازنة بين العلم و العبادة وبين العمل و مجاهدة النفس يقول "إن كل من يسلك طريق القوم ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه،لايصح له إخلاص ولو كان أعبد الناس و أورعهم و أزهدهم و أشدهم هروبا من الخلق و إختفاء و أكثرهم تدقيقا وبحثا في دسائس النفوس و خفايا العيوب فإذا رحمه الله تعالى بمعرفة نفسه صح له الإخلاص وتصير الجنة و الأجورو الدرجات وجميع الدرجات " (هواري حمادي ، 2014-2015،

صفحة 108) وبعبارة أوضح يرفض الدين الإسلامي الرهبانية و التشدد و الغلو الذي وجد عند بعض المعتقدات و الديانات السابقة، ومن ثم يميز بين الإسلام المعتدل دين الحق وبين الذي يربطه بطقوس الشعوذة و الظلاميات ليرفض بعض الطرق الصوفية اللاعقلانية وعلى ضوء هذ كان تصوفه معتدل جامعا بين العلم والعمل بين الحكمة و الممارسة ،ومايمكن ملاحظته أن إتيقا التصوف عند الأمير تحمل العديد من الأبعاد و الدلالات الحضارية وعلى سبيل المثل لاالحسر تأسيسه للنزعة الإنسانية،والنزعة الغيرية و التأويلية،وسنعالج هنا النزعة الإنسانية نظرا لأثره الكبير على العالم .

* إتيقا الإنسانية

تقوم هذه النزعة على الإنسان الكوني بعيدا عن هيمنة المعتقد أو العادات و التقاليد و الإنتماء و الهوية ،وبموجبها ينبذ التطرف وهذا ما أكده إدريس الجزائري الممثل الدئم لدى الأمم المتحدة مبرزا ،أن الأمير لم يستنبط من الإسلام الحقيقي التشدد ولانموذج العنف الذي يرد إلصاقه بالمسلمين ،إنما إستلهم مبادئ الإسلام الحقيقي القائم على المحبة الأخوة و الإنسانية ممهدا الطريق لتأسيس قانون دولي جامع (هواري حمادي ، 2014-2015، صفحة 108) هذا هو البعد الأساسي الذي نادى به في إتيقا التصوف .

ولعل أبرز المواقف التي تبرز تجسد الفكر التسامحي الحضاري الإتيقي عنده هو كتابته لرسالة إلى أسقف الجزائر قائلا" أرسل قسيسا إلى معسكر ...و سوف أعمل على أن يكون محل إحترام وتبجيل لأنه سيكون له وظيفة مزدوجة وهي أنه رجل دين وممثل لك وسوف يصلي يوميا بالمساجين " (هنري تشرشل، 1974، صفحة 202)ولم يثبت عنه يوما أنه أجبر أحد من الأسرى على إعتناق الإسلام .

لم يكن البعد الإتيقي الإنساني في شخصية الأمير محور التحرر للجزائر فحسب ،بقدر ماكان المعادل الموضوعي لتحرر الأوطان المفقودة ،إلى جانب مساعيه الإنسانية التي كانت تدعوا إلى توفير الأمن و الأمان لأن ذلك في نظره يفتح أمام الإنسان مجالات الإبداع من منظور أن الهدف الأسمى للإنسانية يكمن في النضج الكامل للذات للتضحية مع الجماعة من أجل بعث الحرية التي تعد مدخلا حضريا لمقاربة تجربة الأمير في بعدها الديني و الإنساني والقومي و التاريخي (عبد القادر فيدوح ، 2021) ولعل في

إستعانته بتعاليم صاحب الشفاعة و المقام المحمود تأكيد أن الإيمان بالقيم الإنسانية مقرون بالإيمان بالوحي هذا مابرز جليا في كتابهالمواقف الروحية و الفيوضات السبوحية .

يمكن القول و بدون مبالغة بأنه أول مؤسس للنزعة الإنسانية في فترة الحداثة داعيا للإنفتاح على الآخر مؤسسا للحوار بين الأديان التي أصبحت اليوم مطلبا مهما بل و حاسما في ظل الصراع الهوياتي و العقائدي الذي يشهده العالم .

**خاتمة :**

مما سبق نستنتج أن المشاكل التي تطرحها المسائل العملية سواء في العمل أو السياسة ،تجعل الفلسفة الأخلاقية اليوم و أكثر من أي وقت مضى ضرورة حياتية إذا ماأراد الإنسان أن يحافظ على إنسانيته و يحقق كونية أصيلة بين الإنسان و الطبيعة وبين الإنسان والإنسان ،وبدوره بحاجة إلى إتيقا تنير له السبيل الأصيل لتواصل حقيقي ،ومن ثم يعلن الواقع الإنساني الحاجة الملحة لعودة الفلسفة الأخلاقية و الإتيقية .

إن الأمير عبد القادر كان يفهم الإسلام خارج صور التعصب و الإرهاب الملصق به ،و الخوف المصطنع منه و من أبنائه الذي يبقى مرهونا بقراءة خاصة له ،لقد كشف لن الكثير من الخبايا قولا وفعلا وهي التي تحتاج اليوم تنظيرا وممارسة إنطلاقا من هذا فمن الضروري إرساء بحث علمي جاد حوله بعيدا عن المصالح الآنية و الظرفية (هواري حمادي ، 2014-2015، صفحة 117) ذلك أنه أسس فعليا إتيقا التسامح التي تجسدت في أوامره و نواهيه و أفعاله سواء مع القبائل المعارضة له أو مع الأسرى الفرنسيين أو في خضم دفاعه عن مسيحي الشام ومن ثم تجاوز الإطار الضيق للمركزيات الإثنية و الدينية و الثقافية و الكولونيالية ممهد لما يعرف مع أكسيل هونيث بإتيقاالإعتراف بالآخر،فقد تختلف معي إلا أن دوري يكمن في إحترامك كإنسان ذلك أن قيمة وجودنا تتحدد بما نعطيه للآخر يقول تايلور "لكي تكون هوية يجب أن يكون لنا توجه نحو الخير " (الزواوي بغورة ، 2009، صفحة 276)ومن ثم تقوم إتيقا الغيرية عنده

على حب الآخر وفيه يصدق قول كارليل "فإنه رجل يحبه الناس على إختلاف المنازع و الأطوار و العادات ...رجل الحضارة الفذ " (الأمير محمد سعيد ، 1918، صفحة 174).

ولعل العامل الذي ساهم في نشأة الفكر الإتيقي عند الأمير هو تربيته الدينية التي أسس من خلالها مايعرف بإتيقا التصوف الإنسانية التي تجاوز فيها أخطاء سابقيه و التي جسد فيها فكره ،هذا مايجعل الأمير بحاجة إلى قراءات مستمرة لفهم معطيات واقع اليوم ومن ثم تحقيق التعايش و الإعتدال و الترابط المشترك و الإئتلاف مع رفض الإقصاء و السيطرة و التهميش الذين يفضيان لامحالة إلى الصراع الطائفي و العرقي و القبلي ،لهذا فلا بد من التحلي بثقافة الإعتراف بالآخر المستمدة من القناعة الروحية .

ماأحوج العالم إلى فكر الأميرعبد القادر الجزائري الإتيقي في زمن إنتشرت فيه الأمراض و الأوبئة حتى تتحق إتيقا السعادة الكونية .

**. قائمة المراجع:**


- -André Lalande, 1988, vocabulaire techimiget critique de l'Aved, puf ; paris.
- بغورة، الزواوي ،2009م، مابعد الحداثة و التنوير ،،دار الطليعة ،بيروت .
- ،دار شهريار ، العراق.- حسن ، إيهاب ،2017م ، تحولات الخطاب النقدي لما بعد الحداثة ،ت- السيد
- الجزار، أحمد كمال ،1997،المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر و السادة الأولياء الأكابر ،القاهرة .
- الأمير محمد سعيد ،2014م/2015م ،تاريخ حياة طيب الذكر :الأمير علي بن الأمير عبد القادر ملك الإقطاع و سلطان الأرباض الجزائرية،مطبعة الشرقي ،دمشق.
- ليفيناس، إيمانويل ،2011م ، الزمان و الآخر،معابر للنشر و التوزيع ،دمشق.-
- .- العسلي ،بسام ،1986م ،الأمير عبد القادر الجزائري ،دار النفائس ،بيروت
- ،المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر ،الجزائر .-إتيين،برونو ،2001م،الأمير عبد القادر الجزائري

- عوض، صالح ،معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر ،الزيتونة للإعلام و النشر ،باتنة.
- –العيادي ،عبد العزيز ،2004م، إتيقا الموت و السعادة ،دار صامد للنشر و التوزيع ،تونس.
- بن الجيلالي ،محمد أمين ،2021 م ،الإتيقا ،نقد المفهوم وتحولاته في العلوم الإنسانية و الإجتماعية الغربية ،المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية،العراق.
- الجابري ،محمد عابد ،2012م ،مسألة الهوية و الإسلام و الغرب ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت .
- –تشرشل ، هنري، 1974م ،حياة الأمير عبد القادر، ،الدارالتونسية للنشر ،تونس.
- هابرماس ، يورغن، 2010 ،إتيقا المناقشة و مسألة الحقيقة ، ،منشورات الإختلاف ،الجزائر.
- نابي، بوعلي، التسامح و أبعاده الإنسانية في فكر الأمير عبد القادر الجزائري ،مجلةالحوار الثقافي، معسكر .
- الخويلدي، زهير ، 2020م ،التجديد الإتيقي بين هيدغر و ليفيناس و ريكور.
- فيدوح ، عبد القادر، 2021م ، البعد الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر ،الحوار المتوسطي ،قطر.
- سيفي، فيروز ،زروخي، الدراجي ،2021،أخلاق المسؤولية عند ليفيناس ،مجلة العلوم الإجتماعية و الإنسانية ،الجزائر .
- شاطو، محمد،2019م ،التسامح الإسلامي المسيحي من خلال سيرة الأمير عبد القادر الجزائري 1832م/1883م، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية و التاريخية ،البيض .
- حمادي،هواري،2014م/2015م ،أبعاد التصوف عند الأمير، الناصرية للدراسات الإجتماعية و التاريخية ،معسكر .